

الكتاب المخطوط العربي وأدوات تسويقه في ظل التطورات الحديثة:

دراسة تحليلية

إعداد:

أ. الطاهر بودويرة

أستاذ مساعد جامعة تبسة

أ. عبد الكريم بن عميرة

أستاذ مساعد جامعة تبسة

مقدمة

تبدأ عوامل النهضة عند أي شعب من الشعوب بالاهتمام بالماضي، وكشف حقائقه الحسنة، وربطها بحاضره. ومما لا شك فيه أن كل أمة لا تكون على صلة بماضيها لا تستطيع احترام حاضرها. وتعتبر المخطوطات العربية من أقدم عناصر التراث الإنساني الذي مازال موجودا حتى هذا العصر، وقد اعتنى المسلمون بالمخطوطات عناية فائقة؛ فهي حلقة وصل تربط بين أجياله المتعاقبة، باعتبارها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه وصاغه العقل العربي والإسلامي من رسائل ومصنفات. لعل أهم مواضيعها كتاب الله الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام أو ما يتعلق بهما ويخدمهما.

ولقد كانت المخطوطات العربية من الكثرة والتنوع في الموضوعات ما فاق عددها أي تراث فكري عالمي آخر. وتقدر عدد المخطوطات الموجودة حاليا مبعثرة عبر مكتبات مختلف دول العالم، من دول إسلامية وعربية، ودول أوروبا، وأمريكا بحوالي أكثر من ثلاثة ملايين مخطوط (90). رغم ضياع العدد الكبير من هذا التراث بسبب الحروب الصليبية واعتداءات المغول والدول الأجنبية خلال الحقبة الاستعمارية.

ونظرا للأهمية القصوى والبالغة التي أصبحت المخطوطات بشكل عام تحتلها في حياة الأمم لما تحويه هذه المؤلفات من ذخائر وكنوز. تستمد منها الأمة قوتها وهويتها في ظل العولمة الشرسة، لتعزز من خلالها مسيرتها وتقدمها، فهي تعد مخزون واسع لإحداث مضت يجب الاستفادة منها كتجارب تبعدنا عن أي خطأ في اتخاذ القرار الصحيح، كما جاء في قول الرازي: "كدح السابقون فبنينا على ما حققوه، وارتفعنا على أكتافهم، وكدحنا وسييني الآتون على ما حققناه، وسيرتفعون على أكتافنا" 91.

90 . محمد الشريف، عبد الله. مدخل إلى علم المكتبات والمعلومات. الإسكندرية: المكتب العربي الحديث: 2007. ص. 405.

91 متاح على الرابط http://arabic.rt.com/news_all_news/info/54026

فالمخطوط وفي ظل التطورات الحديثة بغض النظر عن شكله مخطوطا كان أو مطبوعا أو إلكترونيا، هو وعاء الفكر الإنساني وأداة الحضارة والثقافة والعلم والتطور، فهو يخزن بين دفتيه ثمرات العبقريّة والإبداع، وينقلها من جيل إلى آخر، وقد ظل كذلك رمزا للعقل والتفكير.

1- إشكالية الدراسة وخلفياتها

1.1- إشكالية الدراسة:

يعد الكتاب العربي المخطوط باتفاق الباحثين والعلماء و المؤرخين على اختلاف مجتمعاتهم واتجاهاتهم، على انه ليس بين أيدي الأمم الآن من تراثها الفكري المسجل الموثق، ما للأمة العربية ؟ كثرة وتنوعاً، فقد عمّرت دور الكتب، وامتلات مكتبات المساجد بألوف الألوف من المصنفات من الكتب المخطوطة التي حملت قرائح الكُتّاب العرب في مختلف الفنون والعلوم والآداب. فهي الوسيلة الأساسية لاكتساب المعلومات والخبرات والمعارف المتنوعة، والأمة العربية الإسلامية على غرار الأمم والمجتمعات المتحضرة، أدركت أهمية وجدوى المخطوط المكتوب وإيجابيته في تنوير العقل وتنمية الذات علما وتهذيبا، وحائط تراثي متين ضد عولمة ثقافية لا تخرج في حقيقتها عن محاولة لتذويب الثقافات والحضارات وإلغاء الخصوصيات الحضارية لصالح حضارة الغالب. وعالم المسلمين بعد أول المستهدفين .. ذلك أن الثقافة الإسلامية التي تشكل هوية الأمة وقسمات شخصيتها الحضارية هي في ثوابتها لأن الدين ليس أمرا مفصولا عن الثقافة.

إلا أن الدراسات والأبحاث الحالية تشير إلى أنه وعلى مدى الخمسين سنة الماضية لم يلاحظ أي جهود منظمة من المؤسسات الأكاديمية والثقافية والفكرية في وطننا العربي بدراسة هذا التراث من الكتاب المخطوط وتوصيله إلى طالبيه فهرسة وتصنيفا وتحقيقا وإعلاما، خاصة فيما يتعلق بالمخطوطات التي تحوي كنوز العلوم النقلية والعقلية والتطبيقية، بل ترك مجال التحقيق إلى الناشرين العرب استنادا إلى متطلبات السوق الربحية، فإذا وجد هناك طلب في السوق على كتاب تراثي في التفسير الفلاني للشراء قام الناشر بالتحقيق فيه، تحقيقا غير علمي، ثم قام بالطباعة والنشر لبيع أكبر كمية من هذا الكتاب. وهو ما يسيء للأسف لهذا التراث من الكتب المخطوطة الجادة في علوم تثبت لنا هويتنا، بتغييبها في غياهب الأدرج.

وهو ما يجعلنا نتساءل عن أهمية المخطوطات وأبعادها العلمية والاجتماعية والثقافية في ظل التطورات الحديثة، وكيفية تطوير وتوظيف هذا التراث في المستقبل من خلال الاستفادة من أدوات التسويق بمفهومه الإيجابي؟

2.1- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى محاولة التعرف على أهمية المخطوط العربي، ودوره الثقافي والاجتماعي، في بناء أفراد المجتمع، وتحسينهم علميا وسلوكيا؛ بما يسهم في عملية التنمية المحلية وتحقيق التواصل بين الأجيال، كما تهدف هذه الدراسة أيضا إلى محاولة التعرف على أدوات وأساليب تسويق القراءة والمطالعة في ظل مجتمع المعلومات.

3.1- أسئلة الدراسة:

- 1- ما مفهوم المخطوط، وما هي خصائصه، وما الفرق بينه وبين باقي التراث المكتوب؟
- 2- ما علاقة المخطوط و الهوية الحضارية الثقافية للأمة وعلاقة ذلك بالتنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية؟
- 3- كيف تساهم المخطوطات في الحفاظ على الموروث الثقافي وتحفظ الهوية الوطنية؟
- 4- كيف يحقق المخطوط العربي آلية التواصل والربط بين مختلف أجيال المجتمع عبر الزمن والمكان؟
- 5- ماهي الأسباب والمعوقات التي تقف حيال اهتمام أفراد المجتمع حيال هذا الموروث الحضاري؟
- 6- ما هي الأساليب التسويقية المحتملة لإعادة بعث ونشر حركية هذا الموروث الحضاري بين أفراد المجتمع على اختلاف جنسهم وأجيالهم؟

4-1- أهمية الدراسة:

من المأمول أن تساعد هذا الدراسة في فتح آفاق جديدة للباحثين في مجالات المكتبات والتاريخ والتربية وفي المجالات الثقافية وفي مجالات أخرى لإعادة النظر في بعث هذا التراث من جديد بطرق حديثة تتماشى والقيمة العلمية والفكرية المتأصلة في هذا النوع من التراث، ومن الممكن أيضا إن توفر هذه الدراسة معلومات عن كيفية تسويق الكتاب المخطوط لتمكين القائمين على المؤسسات العلمية والثقافة والمؤسسات التربوية العاملة في هذا المجال من جامعات ومعاهد ومكتبات ومراكز للأبحاث و المعلومات من تصميم برامج تسويقية لتحقيق الأهداف المرجوة من هذا الموروث الحضاري.

2. الاطار النظري للدراسة

2-1- الكتاب المخطوط العربي مكوناته وأنواعه

2.1.1- تعريف الكتاب المخطوط العربي:

المخطوطات هي مؤلفات العلماء ومصنفاتهم، وهي لفظة محدثة بعد حدوث الطباعة، لهذا لا تجد ذكرا لهذه الكلمة (المخطوط) أو (المخطوطات) في كلام المتقدمين، وإنما حدثت هذه اللفظة بعد دخول الطباعة، فأصبحت

الكتب قسمين: مخطوطات، ومطبوعات. فما كان منها مكتوبًا بخط اليد سُمي مخطوطًا، وما طُبِع منها سُمي مطبوعًا، تمييزًا له عن الأول. وقد اختلف أهل الفن في تعريف (المخطوط) بعد حدوث هذه اللفظة، فقال بعضهم: (ما كتب بخط اليد قبل دخول الطباعة)، وقيل غير ذلك. فالفيلولوجيين لا يقبلون استعمال لفظ مخطوط إلا إذا ألحق بكلمة كتاب فيقولون الكتاب المخطوط لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطا فشواهد القبور وما نقش على الأحجار وما نقر على الصخور لا يمكن اعتباره مخطوطا. إن الكتابة باليد ليست بالضرورة في ذاتها بالمفهوم الفيلولوجي للمخطوط، فلنبحث الآن في مادة هذا اللفظ في اللغة مع محاولة رصد بداية تداوله وذلك باستشارة المعاجم واستقراء النصوص التي يمكنها أن تمدنا بالمعلومات عن بدء استعماله.

ففي المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات تم تعريف المخطوط على أنه كتاب يخط باليد لتمييزه عن الخطاب أو الأرقعة أو أي وثيقة أخرى كتبت بخط اليد خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة، أما الموسوعة الأمريكية فقد جاء تعريفه على أنه المكتوب باليد في أي نوع من أنواع الأدب سواء كان على ورق أو أي مادة أخرى كالجلود والألواح الطينية القديمة أو الألواح الطينية القديمة والحجارة وغيره.

و في الموسوعة العربية العالمية جاء تعريف المخطوط بأنه مصطلح لأية وثيقة مكتوبة باليد أو بالة الطباعة أو الحاسوب الشخصي وتستعمل الكلمة للتفريق بين النسخة الأصلية لعمل كاتب ما والنسخة المطبوعة. كما يشير مصطلح لأية وثيقة تاريخية مكتوبة باليد منذ العصور القديمة حتى عصر الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي⁹² ويعرفه عمر همشري على أن المخطوطات هي ذلك النوع من الكتب التي كتبت باليد لعدم وجود الطباعة وقت تأليفها. وتمثل المخطوطات مصادر أولية للمعلومات، موثقة وتخص دراسة موضوعات متعددة، ويعتمد عدد من الباحثين بشكل كلي أو جزئي على المعلومات الواردة في المخطوطات⁹³. في حين يرى عبد الله عبد الرحيم عسيان أن التراث العربي المخطوط هو كل ما وصلنا من مصنفات ومؤلفات مكتوبة بخط مؤلفها، أو بخط أحد النساخ قبل عصر الطبع وفي مقابل ذلك الكتب المطبوعة التي أخرجتها الطباعة في العصر الحديث.

وعلى ضوء هذه الاتجاهات المختلفة في تحديد المفهوم الاصطلاحي للمخطوط باعتباره موروث حضاري فكري وعلمي وتاريخي وثقافي متعدد الأبعاد. يمكن تعريف المخطوط العربي على أنه في أبسط معانيه هو ذلك الكتاب المخطوط الذي خط بواسطة اليد بغض النظر عن طبيعة المادة التي كتب عليها سواء كانت ورق، أو جلد أو رق وبغض النظر عن النسخ سواء كان مؤلفا أو ناسخا ولا يشترط في ذلك الفترة الزمنية سواء أكان ذلك قبل عصر

⁹² . محمد، الشويخات. أحمد، مهدي. الموسوعة العربية العالمية. ج 22. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، 1999. ص 25.

⁹³ عامر إبراهيم، قنديلجي. ربحي مصطفى، عليان. مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الإنترنت. عمان : دار الفكر، 2000. ص 44.

الطباعة او بعد عصر الطباعة، شرطه في ذلك أنه يحوي مادة فكرية علمية ثقافية تراثية لها علاقة بالثقافة والميراث الحضاري للامة يستفاد منه في الحياة العملية علميا وثقافيا واجتماعيا.

2.1.2- مكونات المخطوط العربي:

يتفق غالبية الباحثين في مجال المخطوطات على ان الكتاب العربي المخطوط يتكون مثل باقي حوامل الاوعية الفكرية من جانب مادي من آلات الخط ومبادهيه، والآلات التي تشتمل عليه الدواة والقلم وبريه، والمداد والحبر وصنعتهما، وليق الافتتاحات، وما يكتب فيه من قراطيس وورق.⁹⁴

أما من حيث المضمون فيتكون من ورقة العنوان وتتضمن عنوان المخطوط، كما تضم الممتلكات، والوقفات والتحييسات والاهداءات، ثم المقدمة وتبدأ بالحمدلة، والصلاة و السلام على النبي والدعاء، وأهم ما تشتمل عليه المقدمة هو اسم المؤلف وعنوان كتاب آخر للمؤلف والموضوع الذي يعالج الكتاب وأهم مصادره، وقد يذكر المؤلف شيوخه وأساتذته، ومنهجه، وهدفه أو سبب التأليف . ويستطيع المفهرس أحيانا الاستدلال على تاريخ تأليفها من خلال المقدمة. أما فيما يخص الخاتمة فقد تتضمن بعض المعلومات المهمة، أهمها عنوان المخطوط، واسم المؤلف، ونهاية المخطوط، وتاريخ النسخ، وعصر المؤلف، ومصادره. وتفيد كذلك في معرفة اسم المنسوخ له، وتصحيح تاريخ وفاة المؤلف، أو ذكر حادثة تاريخية تؤرخ للكتاب، وقد يذكر عنوان كتاب آخر للمؤلف فيها، وغيرها من المعلومات.

ومن الجدير بالذكر أن ما يميز الكتاب العربي المخطوط عن باقي المخطوطات العلمية أنه ما بين صفحة العنوان والخاتمة نجد المكونات التالية زيادة عن المقدمة و الخاتمة و تتمثل في التقييدات على المخطوطات : كالممتلكات والتحييسات، والوقفات، والشراء، والتصحيح، والإجازات. والحواشي وهي ما يضاف على المخطوط من تصحيح واستدراك، أو شرح ... وغيره. والجذاذات وهي أوراق صغيرة مختلفة الأحجام، قد توجد مع المخطوط، تتضمن تعليقات أو تصحيحات أو شروحا، أو إكمال نقص، وغيرها⁹⁵.

3.1.2- أنواع الكتاب المخطوط العربي

⁹⁴ سيد، أيمن فؤاد. الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية؛ 1997. ص. 15.

⁹⁵ عبد القادر، عبد القادر أحمد؛ مر. الزهراني، إسماعيل عبد الله. صناعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة فهرسة المخطوطات وتصنيفها: مشكلات وحلول وقواعد. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. ج 13، ع 2، رجب - ذو الحجة 1428هـ / يوليو. ص. 355-356.

انطلاقاً من الأهمية البالغة التي يتحلى بها الكتاب المخطوط في مجال الأبحاث العلمية، فإن معرفة أنواعه في علم المخطوطات من شأنه أن يسهل عملية البحث، حيث نجد المخطوط الأم وهو الذي كتب بخط المؤلف، وقد كان المؤلفون العرب يضعون نسخهم الأم بخزانة دار الخلافة حتى يتيسر نسخها ومراجعتها واستنساخ نظائرها بسهولة ويسر، ثم المخطوط المنسوب وهو المتولد من المخطوط الأم والمقابل عليه وهو بنفس الدرجة من الصحة، ثم يأتي المخطوط المبهم .

ويمكن ان يطلق عليه الخطوط المقطوع به جملة من العيوب لا تسمح له بأن يرتقي لمستوى المخطوط الأم فقد يكون به محو وفيه تقديم وتأخير كما قد تنقصه الورقة الأولى التي بها عنوان المخطوط واسم المؤلف وهو ما يستدعي التحقيق فيه مقابلة مع المخطوط الأم، كما نجد المخطوط المرحلي وهو ذلك المخطوط الذي يتم تأليفه على مجموعة من المراحل بعد إن يتم نشره بين الناس مثل كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، أما المخطوط المصور فاله علاقة بالدراسات المتعلقة بالفنون الإسلامية، وهو ما يتطلب من دارسي هذه المخطوطات معرفة خاصة بأمور التصوير وخبرة فنية لمعرفة ما تحتويه الصور من لمسات فنية وتعبيرات كتابية، فالمخطوطات على شكل مجاميع وتمثل مخطوطات كثيرة تدخل ضمن إسم مجموع أو مجاميع، ويكون المجموع مجلد يضم عدد من المؤلفات الخطية أو الاجزاء الصغيرة أو الرسائل⁹⁶.

واقع المخطوط العربي

أدوات تسويق المخطوط العربي في ظل التطورات الحديثة

إن الاستغلال الأمثل والملائم لتقنيات التسويق من شأنه أن يساعد المؤسسات ذات العلاقة بالتراث العربي في التعريف بالمخطوطات العربية في مجتمعنا وفي المجتمعات العربية على حد سواء. باعتبار أن التسويق في أدبيته؛ هو عملية التحليل والتخطيط و التنفيذ والإشراف التي تشمل المشاريع التي يتم إعدادها بكل عناية لإحداث تبادل للقيم مع فئات معينة في السوق المستهدفة بغرض بلوغ الغايات التي حددتها المؤسسة لنفسها. ويعتمد التسويق على تحديد السلعة (الكتاب المخطوط وخدماته) التي من شأنها أن تساعد على تلبية حاجات ورغبات المستفيدين (القراء من أفراد المجتمع). وهو ما يستوجب وضع واستخدام أساليب اتصال عن طريق الترويج والإعلام لتحفيز المستفيدين (القراء من أفراد المجتمع) في إبراز القيمة الحقيقية لهذا الإرث العلمي والثقافي كأداة حضارية يستفيدون من خلالها في تطوير مهاراتهم وخبراتهم وتنمية قدراتهم الذهنية بما يستجيب وتطلعات المجتمع الثقافية والسياسية والاقتصادية.

وتنبع أهمية التسويق من كونه الركيزة التي تستند عليها المؤسسات لتطل من خلالها على البيئة الخارجية المحيطة لمعرفة العوامل والمتغيرات التي تؤثر في نشاطها مثل تغير الأذواق، وحجم الطلب المتوقع على المعلومات

⁹⁶ الشريف، عبد الله محمد. مدخل على علم المكتبات و المعلومات. الاسكندرية: المكتب العربي الحديث. 2007. ص. 409-411.

ومصادرها وخدماتها المختلفة. وهو ما يمكن النشاط التسويقي من مراقبة ومتابعة حركة العوامل البيئية المختلفة بما يوفر المعلومات التي تبنى عليها الخطط والقرارات، من خلال التعرف على المستفيد أو مجتمع المستفيدين، ومقومات الخدمة الجيدة مميزة تنافسية، والتعرف على وجهة المستفيدين اتجاه هذه الخدمة والتكيف مع التغيرات إذا كان ذلك ضرورياً⁹⁷.

وعلى ضوء ذلك يمكن للقائمين على المؤسسات الحكومية في بلادنا المسؤولية على التربية والتعليم، والثقافة وتنمية المعرفة، عبر بوابة المخطوطات على آلية التسويق التالية، حتى تستطيع تكوين وإنشاء مناخ الاهتمام بهذا الموروث الحضاري، بجذب أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع للاحتكاك بالمخطوط والاستفادة من خدماته عبر مخطط تسويقي يركز على ثلاثة عناصر أساسية كالتالي:

- (أ) إطار مفاهيمي يستمد مرجعيته من الأفكار المراد شرحها أثناء صياغة المخطط، باعتبارها الأساس الذي تركز عليه القرارات المتخذة من أجل استعماله. انطلاقاً من الإجابة على التساؤلات الآتية ماهي الخطة الوطنية لتسويق المخطوط والتعريف به ؟ وما أهمية المخطوطات في ظل التطورات الحديثة؟
- (ب) سيناريو الخطة حيث يقوم على إدراك جميع المظاهر، السابقة والحالية، التي تحيط به والمهمة في تبرير وجوده على مستوى وطني ودولي. ويحتوي على وثائق أساسية سياسية، قانونية وأكاديمية، خلفيات الخطة وتشخيص حالة الكتاب المخطوط في البلاد
- (ت) الإطار العملي الذي تقدم من خلاله إحدى عشر جانباً تطبيقياً للتعريف والتحديد أثناء صياغة الخطة كشروط لتنفيذها: الأجهزة المساهمة، الهيكل التنظيمي، الربط، اللامركزية، المستخدمين النهائيين، الأهداف والغايات، محاور العمل، التتبع والتقييم، تدبير الموارد، الاتصالات والاستمرارية.

1.2.2 التكنولوجيا الحديثة وتسويق المخطوط العربي

إن التكنولوجيا وثورة المعلومات والاتصالات التي غيرت حياة الناس ينبغي أن يكون لها دور أكبر في خدمة التراث وبخاصة المخطوط في مجالات الإنقاذ والإتاحة والتسهيل، ولذلك فإن على المؤسسات والمراكز التراثية العربية أن تكون في حالة سباق مع الزمن في توظيف هذه التكنولوجيا في خدمة هذا التراث، عبر النشر الإلكتروني بأنواعه وإشكاله وتخزينه عن طريق استغلال تكنولوجيا المكتبات الرقمية ثم إتاحتها للمستفيدين عبر ما يعرف بالمكتبات الافتراضية عبر شبكة الانترنت في ظل بيئة إلكترونية افتراضية، هذا لا يتنافى مع إن المؤسسات العربية التراثية، وبخاصة في الدول الغنية، قطعت شوطاً في توظيف التكنولوجيا في خدمة التراث، لكنها بحاجة إلى توظيف أكبر، وهو توظيف يحركه العقل الإنساني⁹⁸، وفي دراسة أجراها الدكتور هاشم فرحات حول أهمية التكنولوجيا في ضبط وإتاحة المخطوط أحصى ما يقارب عن 34 دراسة مابين دراسات علمية من مقالات و ندوات وبحوث

⁹⁷ عليان، ربحي مصطفى، السامرائي، إيمان فاضل تسويق المعلومات. عمان: دار صفاء، 2004. ص. 101-103.

⁹⁸ الحفيان، فيصل عبد السلام. محاضرة ماذا قدمنا للمخطوطات العربية: بين التنظير و التطبيق. الرياض: مكتبة الملك بن عبد العزيز العامة. 2006/12/19. ص. 10

وادلة⁹⁹.. وهو عدد قليل بحجم وطننا العربي وهو ما يؤكد الدكتور فيصل الحفيان إلى أن قضية التكنولوجيا والتراث، قضية مركبة وعميقة تحتاج إلى رؤية، أو نظرة واسعة لتحقيق الحضور، وإلا فإن عالم القرية الصغيرة الذي نعيشه اليوم، سيكون بالنسبة لنا عالمًا كبيرًا نتوه فيه؛ فنغترب، أو فلنأعجز عن الاقتراب منه؛ فنصاب بالعجز واليأس والإحباط، ونحن أحفاد أولئك الذين أعطوا الإنسانية العلم والأدب والحضارة قرونًا طويلة¹⁰⁰.

2.2.2- وسائل الإعلام وتسويق الكتاب المخطوط:

لا شك أن فرص تسويق الكتاب المخطوط العربي من خلال وسائل الإعلام كبيرة جدًا إذا ما أستمثر في هذا المجال بالطرق السليمة والصحيحة؛ فهو أكثر المهن التصاقًا بالحياة الاجتماعية للإنسان، وباستطاعة هذا الأخير أن يقدم لنا جرعات صحية مما يشحن هم أفراد المجتمع ويدفعهم نحو التمسك الكتاب التراثي، من خلال الاقبال على تصفح محتوياته الفكرية فعملية الإعلام والاتصال الناجح تركز أساسًا على مصداقية المصدر، والتعبير عن الوقائع، وتعطي المعلومات التي لها مغزى في وضوح بشكل مستمر ومتسق معتمد على الوسيلة الاتصالية المناسبة؛ فالعالم يحصل على 80% من المعلومات عبر وسائل الإعلام¹⁰¹. وهو ما يوجب على مؤسستنا أن تستغل هذه الوسائل الإعلامية الجماهيرية من تلفزيون وراديو وجرائد تقليدية أو إلكترونية من خلال الإتاحة عبر شبكة الانترنت، عن طريق تقديم عرض لكتاب صدر حديثاً أو كتاب قديم كان له تأثيراً على مجتمع من المجتمعات، وكذا عقد لقاءات مع مؤلفين لهم تأثيرهم على أبناء المجتمع، ليتحدثوا من خلال برنامج تلفزيوني (مثلاً) عن أحد مؤلفاتهم وبالأخص الحديثة الصدور، وغير ذلك من أمور¹⁰².

فحسب جبريل الحسن العريشي أنه جاء في فكرة "نادي أوبرا للكتاب" البرنامج التلفزيوني الذي تقدمه أوبرا وينفري على شاشة التلفاز، فقد ظل الكثير يعتقد أن الجمع بين متفرقين - التلفاز والكتاب - يبدو صعباً، بل يكاد الكثير يجزم بأن حرباً بينهم لا تسمح لهما بالالتقاء. حتى جاءت فكرة البرنامج، فأصبح التلفاز نافذة لمكتبة تبيع الكتب، نافذة يطل عليها عشرة ملايين في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وخمسة عشر مليوناً خارجها. وهو البرنامج الذي أدهش دور النشر ومطابع الكتب، فبمجرد عرضه تتطاير من رفوف المكتبات مئات الألوف من نسخ الكتب، يشتريها أناس ما خبروا القراءة من قبل.

1. ⁹⁹ فرحات، هاشم. دور التكنولوجيا العربية في ضبط المخطوطات العربية وإتاحتها: مراجعة علمية للإنتاج الفكري. متاح على الرابط faculty.ksu.edu.sa/.../information%20technology%20and%20manusc... (الزيارة 2012/10/31).

¹⁰⁰ الحفيان. فيصل عبد السلام. المرجع السابق. ص. 11.

¹⁰¹ علم الدين، محمود. تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1990. ص. 9.

¹⁰² العريشي، جبريل حسن. هجران القراءة. جامعة الملك سعود. د. ت. ص. 51.

في كل شهر تقف "أوبرا" أمام عين الكاميرا، ويبيدها كتاب، مخاطبة متابعيها هكذا : "هذا اختياري كتاب لهذا الشهر، أريدكم أن تذهبوا لمكتبات بيع الكتب، وأريدكم أن تشتروا هذا الكتاب، أريدكم أن تقرأوه، ثم تطلب منهم أن يبعثوا رسائل الكترونية أو ورقية محتوية تفاعلهم مع النص. ومن بعد، يتم اختيار أربعة أشخاص من مجموع كتاب الرسائل تلك، يطرون - على حساب برنامج أوبرا - من أجل الالتقاء بمؤلف ذلك النص، وتناول العشاء على مائدة أوبرا، والتي يتم حولها نقاش النص وتجربة مؤلفة، وتجربة القراء الأربعة، ومدخلات أوبرا، أمام عين الكاميرا الراصد، لتعرض مقاطع من ذلك النقاش، وفكرة عن الكاتب، خلال حلقة البرنامج المعنية"103.

وعليه فإننا نعتقد بأنه أن الأوان للدول العربية أن تستثمر مثل هذه الوسائل الإعلامية بإيجاد برامج غايتها تشجيع عادة القراءة من جهة وتعريفهم وإعلامهم بكنوز المخطوطات العربية الموجودة داخل وخارج الاقطار العربية وتوضيح أهمية الكتاب المخطوط، وما له من قيم حضارية ومعنوية على حياة الأفراد والشعوب فالحاجة إليه كالحاجة إلى الشراب والطعام.

3.2.2- المكتبة وتسويق المخطوط

تعد المكتبة المكان الأول الذي يتعلم فيه أفراد المجتمع عملية البحث عن المعلومة، بغض النظر عن نوع هذه المعلومة سواء أكانت ثقافية أو علمية. وهو ما دفع بالشعوب المتحضرة في مختلف العصور إلى الاهتمام بالمكتبة كصرح علمي، ثقافي ساهم ويساهم في التنمية الاجتماعية من خلال القراءة، وعلى ما يبدو أن الأمة العربية بحاجة كبيرة إلى المكتبات على اختلاف أنواعها، خاصة منها المكتبات العامة للرفع لرد الاعتبار للمخطوطات العربية، والقضاء على ظاهرة اللامبالاة اتجاه المخطوطات العربية، أكثر من أي وقت مضى. كما تبدو الحاجة ملحة أيضا لعلم التسويق وتطبيقاته؛ لترشيد إدارة المكتبات العامة، وتجعل هذه المؤسسات الثقافية الاجتماعية تقوم بدورها على أحسن وجه. باستقطاب أكبر عدد من المستفيدين (مرتادي المكتبة)، لتطوير قدراتهم وتنمية ثقافتهم في البيئة التقليدية والبيئة الالكترونية من خلال بناء مواقع ويبات معلوماتية تقدم من خلالها خدماتها المعرفية وتعرف بهذا التراث. ففي مشروع قامت به مكتبة جامعة الأزهر بوضع وفهرسة المخطوطات على شبكة الإنترنت، في أحد الأشهر زار هذا الموقع أكثر من 36.000 زائر، الغريب في الأمر أن نسبة 60% من الزائرين كانوا من الولايات المتحدة الأمريكية لهذا الموقع، وهو التساؤل الذي يطرح على مكتباتنا.

ولكي تتمكن المكتبات العامة خاصة من تحقيق ذلك، فإن عليها أن تندمج في البيئة التي تعمل فيها، من خلال تجزئة السوق، وجعل المكتبة سريعة الاستجابة لتحقيق رضا المستفيدين، عن طريق توظيف عناصر المزيج التسويقي لكسب رهان توفير المعرفة وتشاطرها بين أفراد المجتمع؛ عبر برنامج محو الأمية وتعليم الكبار، والخدمات المكتبية للأطفال عبر آلية تشجيع القراءة والمطالعة على هذا النوع من مصادر المعلومات من خلال إيجاد الجو

المناسب لذلك الذي يوائم توجهاتهم والأجواء المريحة والجذابة للمطالعة وإقامة المعارض والمسابقات والندوات وإشراك الأطفال فيها، وفتح أبواب المكتبة لساعات أطول.

4.2.2 المجتمع وتسويق المخطوط:

يلعب أبناء المجتمع ككل وعلى الخصوص "العلماء المثقفون" دوراً بالغ الأهمية في غرس عملية التعريف بالتراث الفكري للمخطوط العربي الذي هو ملك الأمة، وغرسه في نفوس أبناء المجتمع صغاراً وكباراً، وذلك عن طريق مختلف الأساليب المتاحة والممكنة، من خلال التآزر والتعاون رسمياً وشعبياً في التنقيب عنه والوصول إليه والحفاظ عليه والعمل على تطويره والترويج لعادة الاهتمام به في المجتمع؛ فهم القدوة بما لهم من تأثير على أبناء المجتمع، ويمكن أن يمارس هذا الدور عن طريق إقامة الندوات والمحاضرات التي تركز على هذا الموضوع المهم، وأيضاً عن طريق إقامة المسابقات الثقافية المشجعة، وغير ذلك من الأساليب.

5.2.2 دور النشر وتسويق المخطوط

تحرص مؤسسات النشر في دول العالم في إطار السياسة الوطنية للمعلومات من جهة وفي إطار الارتقاء بمهنة النشر من جهة أخرى من خلال اتحاداتها، بوضع وإعداد برامج للعلاقات العامة بهدف تنمية عادة القراءة والاهتمام بالتراث المخطوط لدى الشعوب، عن طريق تنظيم المسابقات والمهرجانات والمعارض و توزيع الجوائز، وكافة الأنشطة الأخرى المؤثرة في المحافظة على الكتاب المخطوط و نشره و تسويقه.

ومن هذه الأنشطة تنظيم أسابيع للتعريف بالمخطوطات الفكرية تتضمن أنشطة و فعاليات تحفز على اقتناء لمخطوطات المطبوعة مثل، الأسبوع الوطني للكتاب المخطوط المطبوع فضلاً عن تنظيم المعارض و الندوات و المحاضرات و إصدار الملصقات التي تشجع على القراءة كما تقوم اتحادات الناشرين بإعداد الدراسات و البحوث التي تهدف إلى رصد حركة النشر وتواجد هذه المخطوطات.

6.2.2 المخطط التسويقي المقترح

ختاماً لهذه الدراسة سنحاول اقتراح خطة تسويقية تعتمد عليها المؤسسات الاجتماعية المهمة بقضية الكتاب العربي المخطوط من مكتبات ومدارس ودور نشر، ووضع بعض التوصيات بما قد يفيد في تطوير وتعزيز الاهتمام بهذا الوعاء الفكري لدى شعوبنا العربية، بما يضمن معه تحقيق أهداف وتطلعات بلداننا لحركة التنمية الاجتماعية والثقافية والعلمية، بما يحقق التواصل بين مختلف أجيال المجتمع في الماضي والحاضر والمستقبل. حيث تركز الخطة التسويقية المقترحة على خمس عناصر أساسية وهي 104:

¹⁰⁴ بن عميرة، عبد الكريم. تسويق خدمات المعلومات بالمكتبات الجامعية: مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية نموذجاً. مذكرة ماجستير: جامعة منتوري قسنطينة، 2007. ص. 200.

* تحديد رسالة القراءة والمطالعة،

* تحديد الأهداف والغايات المرجوة منها،

* اختيار وسائل الاتصال المناسبة للتعامل مع المستفيدين (أفراد المجتمع)،

* دراسة احتياجات المستفيدين وفقا لاهتماماتهم وميولاتهم المختلفة والمتنوعة،

* الاعتماد على أنظمة التغذية الراجعة لمعرفة مدى الخدمة أو ما يعرف بتقويم البرامج التسويقية.

* دراسات ما بعد الخدمة.

التوصيات والمقترحات

- إيجاد القدوة داخل المنزل من طرف الآباء والأمهات في مجتمعنا من خلال إعطاء الاهتمام الكافي للمخطوط وتدريب الأبناء على ذلك خاصة في سن مبكر حيث يتم غرس حب القراءة في هذا السن بشكل كبير، وسوف يتأثرون إيجابياً إذا تعودوا على رؤية أحد والديهم يقوم بذلك،
- تطوير المكتبات القائمة بالفعل، وحثها على الاهتمام بالمخطوطات اهتماما خاصا وتزويدها بالمصادر والوسائل الحديثة للمحافظة على هذا الموروث الفكري الحضاري.
- عقد دورات تدريبية للموظفين في المكتبات والمستفيدين لتدريبهم على مثل هذا النوع من الأوعية الفكرية، وكيفية تنمية آداب ومهارات الاستفادة منه بالمكتبة،
- ضرورة تطوير المناهج التربوية التي تساعد التي تبين أهمية المخطوطات فكريا وثقافيا وهوية لتحقيق التكامل والتواصل بين الماضي والحاضر،
- تشجيع التلاميذ والطلاب على إعداد البحوث في موضوع المخطوطات بما يكسبهم القدرة على القراءة والكتابة حول الموضوع،
- إقامة المعارض والمسابقات لتشجيع أفراد المجتمع للاهتمام بهذا النوع من الأوعية الفكرية،
- الاستفادة من الندوات والمسابقات في مجال المخطوطات وتشجيع أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم وجنسهم للاشتراك فيها،

- استغلال وسائل الإعلام من طرف دور المكتبات للترويج للمخطوطات وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع،
- تكوين نوادي المخطوطات من طرف اتحادات الناشرين، والمكتبات ومراكز المعلومات وعقد
- المسابقات بين القراء، ورصد جوائز تشجيعية لذلك، وتنشيط دور جماعة أصدقاء المخطوط من
- حيث الإعلان عن المخطوطات الموجودة بالمكتبة وغيرها، وتيسير الوصول إليها وغير ذلك.
- تفعيل حركة النشر من خلال التحقيق والتأليف على ذلك.

تجربة مكتبة أحمد عروة في رقمنة مخطوطاتها

إعداد:

حجاز بلال

جفري علاء الدين

سـدس يـونس

سعيد تومي عادل

لبصير رؤوف

مقدمة :

تعتبر المخطوطات من أهم ما خلفته الأجيال السابقة وهي ثروة الأمة وذاكرتها تروي تجارب مؤلفيها وإبداعاتهم ، ويعكس هذا التراث التطور الحضاري للأمة وتطورها في شتى العلوم والمعارف ، كما يترجم أصالتها.

وغني عن القول أن الأمة الإسلامية تملك تراثا هائلا من المخطوطات ، وهذا لما تميزت به هذه الأمة من حضارات إنسانية شاملة في عالم العلم و المعرفة ، لذلك فقد عني التراث العربي الإسلامي من المخطوطات بالدراسة والعناية وفي هذا السبيل سعت جامعتنا من خلال مكتبات الشيوخ لجمع أكبر عدد من المخطوطات حتى